اسهامات الأدب العربي في نشر التعاليم الدينية
فن الشعر أنموذجا

د. خالدي سمير أستاذ محاضر قسم (أ)
المركز الجامعي غليزان (الجزائر)

The Contributions of the Arabic Literature to the Spread of Religious Values: Poetry as a Model.

Abstract:

The present study is about the importance given to Arabic which is considered as the language of the Holly Quran. Thus, our investigation is about the contribution of the Holly Quran and the Sounna which are regarded as religious reference for the development of language and Arabic literature. The latter, consequently, contributed to the spread of the religious values through its various discourses. This is shown by the sequence of the Arabic poetry's history during the Rise of Islam.

Key words: language, Islam, literature, intersexuality, discourse**.**

« l'apport de la littérature arabe dans la diffusion des instructions religieuses, La poésie comme modèle »

Résume :

Notre article fait un aperçu sur l'apport du Coran et la Suna, considérés comme référence de la religion, dans le développement de la langue et la littérature. Ceci a comme conséquence la diffusion des principes de la religion par le biais des discours littéraires avec tous les types qu'il comprend, soit au niveau de la structure, du dialogue, de l'intertextualité ou du contenu et les objectifs qu'il vise.

Mots clé : langue arabe, poésie, religion, intertextualité, discours.

ملخص:

تهتم المقال باللغة العربية التي اصطفاها الله عـــــــز وجل عــن باقي لغات العالم وشــرفها بهذه المكانــة المرموقــة ومنه جاءت مداخلتنا لبيان اسهــام القرآن الكريم والسنة النبوية - باعتبارهما مرجعية دينية أساسية- في تطــوير اللغــة والأدب العربــي، ومــن ثمــة اسهام هذا الأدب فــي نشر التعاليم الدينية والترويج لهــا عبــر خــطاباته المــتعددة الألــوان والأشكال سواء علــى المستوى الهيكلي أو التحاوري- التنــاص- أو المضمون المــوضوعاتي المتداخل مع غائية الخطاب وأهدافه.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الشعر، الدين، التناص، الخطاب.

مقدمة:

يندرج البحث ضمن الاهتمام بالعربية بوصفها لغة القرآن الكريم التي اصطفاها الله عز وجل عن باقي لغات العالم وشرفها بهذه المكانة المرموقة التي زادت من هيبة وافتخار الإنسان المسلم وهو ينطق ويعبر بها عن أغراضه، ومنه جاءت مداخلتنا هذه لبيان اسهام القرآن الكريم والسنة النبوية - باعتبارهما مرجعية دينية أساسية- في تطوير اللغة والأدب العربي,و من ثمة اسهام هذا الأدب في نشر التعاليم الدينية والترويج لها عر خطاباته المتعددة الألوان والأشكال سواء على المستوى الهيكلي أو التحاوري- التناص- أو المضمون الموضوعاتي المتداخل مع غائية الخطاب وأهدافه، وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة الموسومة "اسهامات الأدب العربي في نشر التعاليم الدينية: فن الشعر نموذجا" ومما لا ريب فيه فإن اللغة العربية إحدى اللغات السامية وأرقاها, وقد كرمها القرآن الكريم, قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون."[1] وفي قوله تعالى أيضا:" وإنه لتزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين."[2]

ولا شك في أن اللغة العربية قد مرت بأطوار تدرجت فيها إلى هذا الكمال الذي وجدنا للتعاليم الإسلامية حضورا في مجالاتها,كما سيبرزه تسلسل تاريخ الشعري العربي حين ظهور الإسلام وبعده.

العهد المحمدي:

نزل القرآن الكريم على النبي محمد-صلعم- دليل اعجاز وشهادة حق ومرجع بلاغة فأثر في الشعر وتطوره حين أخذ شعراء النبي-صلعم- على عاتقهم مهمة الدفاع عن الرسول الكريم ونصرته والذود عن الدين الإسلامي ومن أشهرهم الشاعر"حسان بن ثابت" ، "كعب بن مالك" و"عبيد الله بن رواحة" كما تبرزه الشواهد الشعرية كهجاء "عبد الله بن رواحة" لقريش و انتصاره لدين الله قائلا:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا[3]

ويعد "عبد الله بن رواحة" من الأنصار. كان فصيح اللسان وشاعرا فذا أصبح نظمه منذ إسلامه وملكته الشعرية في خدمة الدين ونصرة الاسلام وكان شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ومن المقربين منه ومثل شوكة في حلق المشركين يرد عليهم ويدافع عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان من أكثر الصحابة تعلقا بنبيه وشديد التأثر بأخلاقه الكريمة وتطبيقا لتعاليمه وأوامره ونواهيه عليه الصلاة والسلام حتى قال عنه (ص): " زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله." وكانت من بين أشهر قصائده تلك التي رثى فيها سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه

وأرضاه, و أسد الله و رسوله على إثر استشهاده في غزوة أحد نذكر منها قوله:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتل
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسول[4]

وكان شعره يذهب الروع عن النفوس ويبث الحماسة بين أصحابه ليشدوا من عزمهم في الجهاد ونصرة الدين مثل قوله

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها[5]

علي إذ لاقيتها ضرابها

ونظرا لجودة شعر كل من: بن رواحة ،وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت قال فيهم الرسول (ص): "أمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان فقال وأحسن، وأمرت عبد الله بن رواحة فشفى واشتفى."[6]

وقد تميز شعره بالالتزام في مثل قوله عندما خاطب أبا سفيان يدعوه للإسلام

"فأبلغ أبا سفيان إما لقيته لئن أنت لم تخلص سجودا أو تسلم

فابشر بخزي في الحياة معجل وسربال قار خالدا في جهنم[7]

كما لا يخلو شعره من نفحات الإيمان بالله وعظمته في مثل قوله:

شهدت بـــأن الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله مقربينا[8]

وله في مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم أشعار منها قوله:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به استثقلت بالكافرين المضاجع[9]

وقد هذب القرآن الكريم معاني الشعر وأثر في موضوعاته بالابتعاد عن الغزل والمجون واتصفت العلاقة بـــين الرجل والمرأة بالطهر والقدسية والاحترام وأصبح الشاعر العذري يستلهم موضوعاته الشعرية من الألفاظ الدينية مثـــل العفو والغفران كما جاء في قول "ابن أبي ربيعة:"

فديتك اطلقي حبلي وجودي فإن الله ذو عفو غفور[10]

إن التطور الذي أحدثه الإسلام في المجتمع كان له الأثر البالغ في الشعر ذلك لأنه يعـــد التعبيـــر الأمثـــل عـــن أحاسيس ومشاعر الإنسان وتأكيدا لتصوراته: " كان الاسلام العامل الأول في ازدهار ذلك الشعر وتكامله."[11] فالشـــاعر إذن هو لسان حال قبيلته حيث شكل نبوغ شاعر في قبيلته مبعثا على الافتخار والفرحة والتميز بين القبائل فكان العـــرب قديما: "لا يهنئون إلا بثلاث غلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج."[12] وهو ما أكده ابن قتيبة بقوله:" وللعرب الشـــعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها وجعله لعلومها مستودعا ولآدابها حافظا ولأسبابها مقيدا، لأخبارها ديوانـــا ، لا علـــى الدهر، ولا يبيد على مر الزمان وحرسه بالوزن والقوافي وحسن النظم، جودة التحبير من التدليس والتغيير."[13]

إن المتتبع لمواقف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من الشعراء في الحث على قول الشعر ونظمه بما يخـــدم الدين الجديد والرسالة المحمدية إذ:" نصب لحسان بن ثابت منبرا ينشد من فوقه الشعر في مسجده وفـــي حياتـــه وأنـــه زوجه من أخت زوجته ماريا القبطية لا لشيء إلا لمواقفه الشعرية ."[14] وقال عنه الاصمعي : "حسان بن ثابـــت أحـــد فحول الشعراء."[15]

لقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجاه الشعر في الدعوة إلى دين الحق وعمل الخير فاختار من المعاني والأغراض ما يتناسب مع الموضوع فقال عليه الصلاة والسلام:" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه حسن ومـــا لم يوافق الحق منه فلا خير فيه."[16]

ولما كانت تعاليم الاسلام تدعوا إلى الخلق النبيل والكريم ونبذ كل ما هو دنيء وقبيح كان لزاما على الشعراء أن يخضعوا شعرهم للتكيف مع تعاليم الرسالة المحمدية وتجنبوا في الأغراض التي لا تخدم الدين الجديد ومـــا ألفـــوه فـــي جاهليتهم. مما تمخض عن ذلك أغراضا شعرية جديدة لم تكن من قبل موجودة أفرزتها الحاجة ومتطلبات الدين الجديـــد حيث يستعرض الشاعر عقيدته الدينية مفاخرا ويدعو الناس إلى ضرورة التمسك والتحلي بها، وهو طـــابع جديـــد مـــن الشعر لم يكن سائدا من قبل والذي عبرت عنه أبيات حسان بن ثابت نعرض منها قوله:

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السماوات من عـــل

وأن أبا يحي ويحي كليهما له عمل فـــي دينه متقبل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عندي ذي العرش مرسل

وأن أخا الأحقاف إذ يعاذلونه يجاهد في ذات الإه ويعدل[17]

وامتثالا لأوامر الله في مثل قوله :" أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" وأكدها قول رسول الله :"الدين النصيحة"[18]

وخير دليل على هذا التأثر الذي يتجلى لنا في "لامية صرمة بن أبي أنس الأنصاري" في قوله:

يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال[19]

وهو بيت كما نرى يستند الى قوله تعالى:**" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ."**[20] و قوله تعالى: "فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم"[21].

يمثل هذا العهد ترسيخا للدعوة المحمدية والدين الاسلامي الحنيف وتمثل ذلك في أشعار جملة من الشعراء الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية نشر التعاليم الاسلامية والذود عنها بقصائدهم فكان لسانهم ناطقا بالحق ومنصفا له. ومن بين هؤلاء الشاعر: "كعب بن زهير" أحد صحابة وشعراء المخضرمين لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وصاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها:

بانت سعاد وقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يعد مكبول[22]

ولما بلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول*

وهب له صلى الله عليه وسلم بردته، وله أشعار في مدحه منها قوله:

تحمله الناقة الادماء معتجزا بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم

وفي عاطفية أو أثناء ريطته ما يعلم الله من دين ومن كرم[23]

مثل شعر كعب بن زهير وسيلة لإصلاح الذات ومخاطبة الروح وسما إلى الصفاء والنقاء وذاد عن دين محمد عليه الصلاة والسلام وابتعد عن موضوعات الشعر الجاهلي فكان نظمه متميزا ومتنوعا في المدح والفخر والرثاء.

ب-العهد الراشدي:

ويعتبر الشاعر الحطيئة واسمه جرول بن مالك العبسي من مضر ولقب بالحطيئة لقصره[24] وهو شاعر مخضرم وأفرد له صاحب كتاب الأغاني ترجمة كاملة قال فيها عنه:" وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مجيدا في ذلك أجمع."[25]

وهو من قال عنه عمر بن العلاء : " لم تقل العرب بيتا قط أصدق من بيت الحطيئة[26]:

ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس.

ويؤكد طه حسين عبقريته الشعرية بشهادته قائلا: " فإني أرى في هذه الأبيات جزالة وصلابة ومتانة وارتفاعا وأجد فيها جمالا لا أعرف كيف أصوره ولكنه يملأ علي أمري ولو أنني أطعت نفسي لقلت: إنني أجد في هذه الأبيات رجولة شعرية."[27]

كذلك كان شعره عاكسا لتقواه وإيمانه وان السعيد الحقيقي هو الذي يفوز بالتقوى وحلاوة الإيمان في مثل قوله :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد[28]

وانفرد الشاعر "أبو الأسود الدؤلي وشهرته كانت في النحو, لكن كان اهتمامه بالشكر أكثر واعتماده عليه في نحوه ووضعه لقواعد تشكيل الحروف حفاظا على سلامة اللغة ونطقها السليم ورسم الحرف العربي وله مجموعة من الأشعار التي مثلتها زهدياته ميزتها موضوع التوكل على الله تعالى ومن بعض الامثلة على ذلك قوله:

إذا كنت معنيا بأمر تريده فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إنما تراد به آتيك فاقنع بذي الفضل[29]

أما "الحكم بن عبد الأسدي" فلم يجد غير الدين ليعتصم به والاتكال عل المولى عز وجل لأن ذلك يجلب للإنسان **طمأنينة النفس وراحة البال:**

لم أجد عروة الخلائق إلا الد ين لما اعتبرت والحسبا
وقد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنس رحلا ولا قتبا
ويحرم المال ذو المطية والر جل من لا يزال مغتربا[30]

ويستفسر "محمد بن خالد بن الوليد" عن مصير الانسان ويوم القيامة في قوله:

هل الخلود إلى القيامة مطمع أم للمنون عن ابن آدم مدفع
هيهات ما لنفس من متأخر عن وقتها لو أن علما ينفع
أين الملوك وعيشهم فيما مضى وزمانهم فيه وما قد جمعوا
ذهبوا أو نحن على طريقة من مضى منهم فمفجوع به ومفجع
عثر الزمان بنا فأوهى عظمنا إن الزمان بما كرهنا مولع[31]

ج-العهد الأموي:

مال بعض الشعراء الزهاد إلى تحقير الدنيا وطلب الفوز بالآخرة لما فيها من نعيم ومن أمثال هؤلاء قطري بن فجاءة شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها فكان مثالا في الشجاعة والفروسية وفصاحة اللسان ونظم الأشعار وله قصائد كثيرة في الإيمان والتقوى والقضاء والقدر ومن أمثلة ذلك قوله:

أيقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بوب عز فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الأرض داعي

ويصفها "الحسن البصري" كأنها أحلام نائم التي تنقضي بسرعة وأنها ضل زائل:

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع[32]

وهناك فريق من الشعراء الزهاد في هذا العصر الذين ذكروا الموت في قصائدهم وهي كثيرة نذكر منها بعض الشواهد ل"محمد بن يسير" الذي وصفها بقوله:

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
يا حسرتي في كل يوم مضى يذكرني بالموت وأنساه
من طال في الدنيا عمره وعاش فالموت قصاراه[33]

ومن هؤلاء الشعراء الزهاد الذين دعوا إلى التوكل على الله ومنهم "قطري بن الفجاءة" الذي ذكر ان الموت مصير كل حي ومن لم يمت بالسيف مات بغيره. لقد تميز "الكميت" - وهو شاعر شيعي - بنظم ينم عن ملكة واسعة في الابداع وفن النظم جاء عاكسا للانتصار للإسلام فجاءت أشعاره تعكس هذا التأثر فكانت أبياته تتميز بليونة والحكمة في القول وحسن التفاوض مع الآخر في نشر تعاليم الاسلام وهو ما توحيه هذه الأبيات:

ما أبالي إذا حفظت أبا القا سم فيهم ملامة اللوام
ما أبالي ولن أبالي فيهم أبد رغم ساخطين رغام

فيهم شيعي وقسمتي من الأمة حسبي من سائر الأقسام[34]

وقال مفتخرا بالقرآن الكريم:

وأن لنا في آلم حم آية تأولها منا تقي ومعرب[35]

ونصرته لآل البيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:

وما لي إلا أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب[36]

كما أعلنها صراحة بتفضيله لآل البيت من دون الناس ويبدو ذلك في قوله:

على أمير المؤمنين وحقه من الله مفروض على كل مسلم

وزوجة صديقة لم يكن لها معادلة غير البتولة مريم

وردم أبواب الذين بنى لهم بيوتا سوى أبوابه لم يردم[37]

إلى أن يصل إلى قوله:

يرون لهم فضلا على الناس واجبا سفاها وحق الهاشميين أوجب

ولكن مواريث ابن آمنة التي به دان شرقي لكم ومغرب [38]

د-العهد العباسي:

ولم يختلف الوضع عند الشاعر الفذ أبي العتاهية الذي نشأ في العصر العباسي فكان لا يستطيع الابتعاد عن حياة اللهو والمجون ويحكى أنه ذات يوم رأى مناما كان سببا في توبته ورجوعه إلى الله فرأى في حلمه آية أتاه غلامه على شعره في عتبة:

الله لابيني وبين مولاتي أهدت لأي الصد والمعالات

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافاتي

هيمني حبها وصيرني أحدوثة في جميع جاراتي

وقال أبو العتاهية :" فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل."[39] فكان للدين الاسلامي أثر في حياة وشعر أبي العتاهية وانتقل من عشق النساء إلى حب الله فمال إلى الزهد يدعو إلى عمل البر والخير حيث قال عنه أبو الفرج الأصفهاني:" وأكثر شعره في الزهد والأمثال."[40]

وهو القائل:

فيا عجبا كيف يعصى إلا له أم كيف يجحده الجاحد[41]

وعكست زهدياته خوفا من الله وتضرعا إليه وندمه على ماضيه الماجن في قوله:

فيا ذلي ويا خجلي إذا ما قال لي ربي

أما استحييت تعصيني ولا تخشى من العتب

فتحب مما جنيت عسى تعود إلى رضى الرب[42]

وله في جهاد النفس ومحاربتها وتأديبها أشعار نذكر منهاّ:

ألا من لنفسي بالهوى قد تمادت إذا قلت قد مالت عن الجهل

تزاهدت في الدنيا وإني لراغب أرى رغبتي ممزوجة بزهادتي[43]

ويمكن لنا أن نعرض بعض الشواهد التي تؤكد إيمان أبي العتاهية المخلص باليوم الآخر، يوم البعث والحساب والعقاب التي تعكسها الأبيات التالية:

أذكر معاك أفضل الذكر لا تنس يو صبيحة الحشر

يوم الكرامة للألى صبروا والخير عند عواقب الصبر

في كل ما تلتذ أنفسهم أنهارهم من تحتهم تجري
أخي ما الدنيا بواسعة لمنى تلتاج منك في الصدور
ترتاح من عبر إلى سعة وتفر من فقر إلى فقر
اكثرت في طلب الغنى لعبا وغناك أن ترضى عن الدهر
والخير مال أنت كاسبه ما كان عند الله من ذخر[44]

حضي أيضا شعر أبي نواس باهتمام كبير من لدن دارسي الادب حيث وقفوا على معاينتــه وتأمــل مواضــيعه فتأرجح شعره بين قطبين (المجون الذي طال مراحل كبيرة من حياته والزهديات لما بلغ من الكبر عتيا. اشتهر بثقافــة واسعة فارسية وعربية اسلامية واطلاعه على الفلسفة،[45] حيث مكنته معارفه المتنوعة أن يتمتع بعبقرية فذة وقدرة على الإبداع ونظم الشعر جد متميزة وله قصائد في مدح آل البيت في مثل قوله:

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلوات عليهم أين ما كانوا
من لم يكن علويا حين نسبه فماله من قديم الدهر مفتخر
فالله لما يرى خلقا فأتقنه صفاكم واصــطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ إلا على وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور[46]

هناك أيضا قصائد له تدعو للزهد نذكر منها ما قاله عند موته:

يا ربّ إن عظمتْ ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم[47]

هــ-العهد المملوكي:

قام حكم المماليك في بلاد مصر والشام على الفروسية والنظام العسكري الصارم حيث أسســوا دولــة شــملت المنطقة العربية ودام حكمهم على مدى قرنين من الزمن دافعوا فيهما عن الدين الاسلامي ومن أبــرز ميــزاتهم إحيــاء لشعائر الدين وإقامة المنشآت الدينية[48] والاحتفالات الدينية مثل احيائهم للمولد النبوي الشريف ومن أشهر شعرائهم ابــن نباتة المصري كانت له قصائد في الزهد والتصوف. ومن أمثلة ما قال:

أستغفر الله لا مالي ولا ولدي آسي عليه إذا ضم الثرى جسدي
عفت الإقامة في الدنيا لو انشرحت حالي فكيف وما حظي سوى النكد
وقد صدئت ولي تحت التراب جلا إن التراب لجلاء لكل صدي[49]

وله في شعر المولديات ومنها قوله:

أوجز مديحك فالمقام عظيم من دونه المنثور والمنظوم

د-شعر التصوف:

اتخذ المتصوفة من الشعر وسيلة للتعبير عن تجاربهم الوجدانيــة حيــث اســتطاعوا أن يصــوروا مشــاعرهم وأحاسيسهم وكيف يمكن للشعر أن يكون أداة معبرة عن الأدب في حضرة الذات الإلهيــة حيــث انتشــرت الصــوفية وصارت مبدأ ومذهبا للتعبد في العصر المملوكي ومرد ذلك إلى لجوء الأمة الاسلامية إلى الدين والتصوف نتيجة لمــا عانته النفس من شر الحصار والحرب الصليبية اتخذوا منه منفذا يحققون به توبتهم ورجوعهم إلى الله سبحانه وتعــالى لعل ذلك يصرف عنهم الأذى والشر وكانت للشعر في العصر المملوكي جملة من المميزات نذكر أهمها:

"الحب الالهي ، اللغة الرمزية، الخيال و الإشادة برجال التصوف"[50] حيث أكد هؤلاء الشعراء ومنهم "ابن الفارض حبه الكبير إلى الله بقوله:

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى[51]

وإلى جانب ابن الفارض يعد الحلاج من كبار المتصوفة الذين تغنوا بالذات العربية[52] في مثل قوله:

لي حبيب أزور في الخلوات حاضر غائب عن اللحظات

ونفس النهج سار عليه شعراء المغرب العربي في نظم قصائد في التصوف ومن بينهم الشاعر أبو مدين التلمساني وهو شعيب بن الحسن أصله من الأندلس (ت 599هـ) عاش في مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية استخدم الألفاظ وحولها إلى رموز عرفانية بعيدة عن طلب الدنيا وناجى ربه في مشاهد صوفية عكست مدى تعلقه بالحب الالهي السامي : " وعد بذلك الشعر الصوفي جملا كبيرة ذات مجاز لغوي علاقته المشابهة بين حقيقة الحب الانساني ومجازا ما تدل عليه من حب إلاهي."[53]

فكان الشاعر أبو مدين التلمساني علامة مميزة في تعلقه بربه وحبه اللامتناهي له وهو القائل:[54]

تضيق الدنيا إذا غبتم عنا وتذهب بالأشواق أرواحنا منا

فبعدكم موت وقربكم حياة فإن غبتموا عنا ولو نفسا متنا

نموت ببعدكم ونحيا بقربكم وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا

ونحيا بذكراكم إذا لم نراكم ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

وهذه صورة أخرى عن تعلقه الشديد بربه سبحانه وتعالى في قوله:[55]

أهل المحبة بالمحبوب قد شغلوا وفي محبته في أرواحهم بذلوا

استنتاج:

نستخلص مما سبق أن فن الشعر قد ساهم بقدر كبير في نشر تعاليم الدين الاسلامي الحنيف والتأكيد على مكارم الأخلاق والانتصار إلى الفضيلة والفعل الحسن والهداية وقول الحق و التعلق بالخالق و رجاء الآخرة و الزهد في متاع الدنيا الزائل مستخدمين أجود الكلمات والخطابات المعبرة عن جماليات اللغة العربية وسحرها ومدى تأثيرها في المتلقي.

ولازال الشعر العربي مدينا حتى يومنا هذا للتعاليم الاسلامية الخالدة في تطوره و اكسابه البعد الحضاري المعبر عن أصالته و جذوره التربوية الهادفة, وأن ما عداه لا يعدو إلا أن يكون طفرة شاذة نحن منها براء.

هوامش الدراسة:

[1] سورة يوسف: الآية 2.

[2] سورة الشعراء: الآية 195.

[3] الفاخوري حنا: الجامع في الأدب العربي، دار الجيل،ط 2، بيروت، 1995، ص 50.

[4] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الاسلامي، دار المعارف مصر، 1976ص 68

[5] وليد قصاب : ديوان عبد الله بن رواحة، دراسة في سيرته وشعره، دار العلوم ، ط 1، الرياض، السعودية، 1982 ، ص 28.

[6] المرجع السابق، ص 38.

[7] المرجع نفسه، ص 79-7.

[8] المرجع نفسه، ص 90

[9] المرجع نفسه، ص 92.

[10] المرجع نفسه، ص 93 – 94

[11] شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، ص 177.

[12] سامي مكي العاني: الاسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط يناير الكويت، ص 5.

[13] المرجع السابق، ص 8.

[14] المرجع نفسه، ص 7.

[15] ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 1، ج 1 ، 1412، ص 338.

[16] المرجع السابق، ص 338.

[17] الشبستري عبد الحسن: أصحاب الإمام الصادق، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين، قم، ط1، 1418هـ، ج1 ،ص 219.

[18] ديوان كعب بن زهير: حققه وشرحه وقدم له علي فاعور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997 ، ص 6.

[19] ديوان الحطيئة ، رواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط الاولى، بيروت، لبنان، 1993، ص 7.

[20] سورة النساء،الآية1.

[21] سورة محمد، الآية 22.

[22] المرجع نفسه، ص 12 -13.

[23] المرجع نفسه، ص 12 -13.

[24] طه حسين: حديث الأربعاء، الجزء الأول ، دار المعارف، مصر، ص 144.

[25] عبد العزيز بن محمد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم: شعر الدعوة الاسلامية في العصر الأموي، (د.ط)، 1973 ، ص 331.

[26] ديوان الحطيئة، ص 19.

[27] الأصفهاني: الأغاني، ج7 ، ص 402.

[28] المزرباني أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى: معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتاب، القاهرة، 1960، ص 345.

[29] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، (د.ت)، بيروت، ج3، ص 228.

[30] الاصفهاني: الاغاني، ج 14 ، ص 39.

[31] ابن رشيق القرواني : العمدة، ج1 في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة، 1955، ص 27.

[32] حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسين، القاهرة (د.ط)، 1974، ص 305.

[33] سامي مكي العناني: الاسلام والشعر، عالم المعرفة، ص 69.

[34] الاستيعاب: ج4، ص 158.

[35] أبو عبد الله الحبيب بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات السبع، دار القلم، بيروت، لبنان (د. ت) ص 193.

[36] زهرة سعيدي: دراسة حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد الثامن، (د.ت)، (د.ط)، ص3 .

[37] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتاب، ج2، (د،ط)، 1923،القاهرة، ص 2.

[38] المصدر السابق، ص 101 -102.

[39] خليل شرف الدين: أبو العتاهية، الديوان، دار الهلال، بيروت، 1978 ،ص 20.

[40] المصدر السابق، ص 25

[41] فيصل شكري: أبو العتاهية أسفاره وأخباره، مكتبة دار الملاح ،(د.ط)، (د.ت)، ص37.

[42] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج3، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط 3، مصر، ص 136.

[43] شرح الديوان لأبي نواس: محمد أنيس مهرات، دار المهرات للعلوم، حمص، سوريا، 2006 ، ص 146

[44] ديوان ابي نواس، احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت 2007م ص 464 .

[45] محمد سهيل طقوس: تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، ط 1، بيروت، لبنان، 1997، ص9

[46] المرجع نفسه، ص 11

[47] محمود حسن اسماعيل: ديوان قاب قوسين، دار العروبة، ط 1، القاهرة، 1964، ص 10

[48] النيسابوري: عقلاء المجانين، ترجمة ميمونة، طبعة دمشق، سوريا، 1924، ص 30.

[49] محمود حسن اسماعيل: ديوان قاب قوسين، ص 12

[50] رضوان محمد سعيد عجاج إيزولي: تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي، أبو مدين التلمساني انموذجا، ص 243.

[51] ديوان التلمساني شعيب أبو مدين: نشره نجله محمد بن العربي، ط 1، مطبعة الترقي، دمشق، سوريا، 1938، ص 1.

[52] المرجع نفسه، ص 64.

[53] مختار حبار: شعر أبي مدين التلمساني، الرؤيا والتشكل، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 2002، ص 35.

[54] الإمام عبد الحليم محمود: أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 11 .

[55] المرجع نفسه، ص 129.